العرب
الخميس 2020/05/07
السنة 42 العدد 11695

الشكّ في كل شيء يؤدي إلى الجهل

لكي نصل إلى الحقيقة نحتاج إلى ثقة في عقولنا وعقول الآخرين

أمام وفرة المعلومات التي تنهال كل ساعة، يحار المرء كيف يصطفيها، وكيف يخزنها للاستدلال بها عند الحاجة، خصوصا إذا عارض بعضها بعضا، وأيّها يصدّق. هل يشكّ فيها جميعا أم في بعضها فقط، أم يخضعها كلّ مرة إلى عقله ومخزون ذاكرته فيحلل ويقارن حتى يهتدي إلى الحقيقة؟

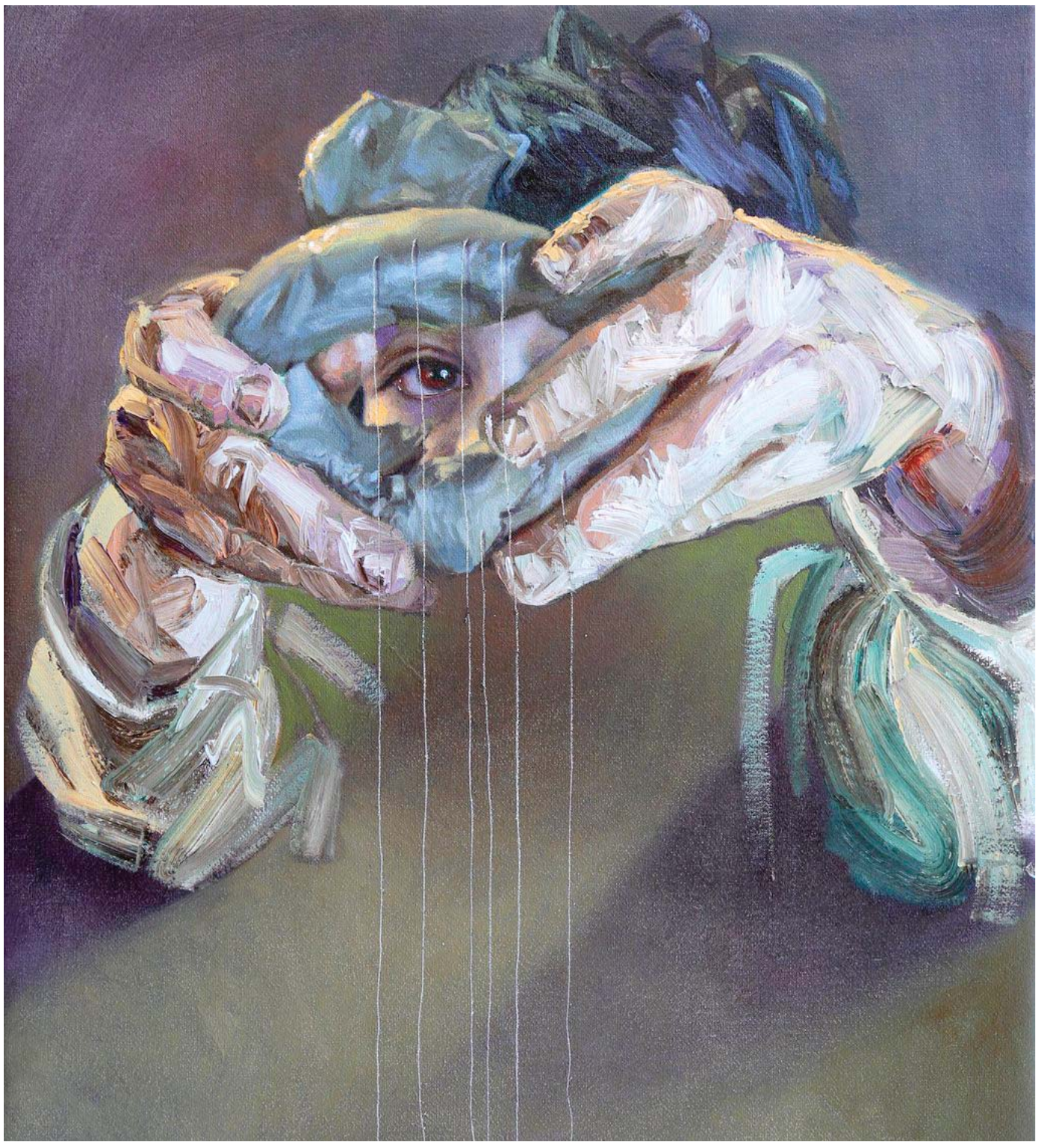

الشك لا يكشف عمق الأشياء (لوحة للفنانة سارة شمة)

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

يؤكد الخبراء أنّ الذاكرةَ، مهما كانت قوّتُها، محدودةٌ، وأن ما يعرض عليها من أخبار ومعلومات يوميًا يفوق طاقة تخزينها بصفة سليمة، ما يدفعها إلى انتقاء ما تُبقي وما تَلفظ.

هذا الانتقاء يتم في معظمه بفضل المشاعر التي تنتابنا إزاء ما يعرض علينا، فالوعود الوردية والخطب المثيرة للشفقة والصور الصادمة تشدّ انتباهنا أكثر من سواها لأنها تنطبع في أذهاننا بسهولة.

وقد لاحظ باحثون دنماركيون عند تحليلهم لتغاريد حول قمة البيئة 15 أنه كلما أثارت معلومة ما مشاعر سلبية في نفوس الناس كالخوف والحزن والغضب، كانت أسهل للتداول، رغم أن الجانب الانفعالي لعنوان كبير لا يضمن دائما صحة المحتوى.

الفكر النقدي

لكي يدّخر الدماغ طاقته يستعمل مناهج كشف تستند إلى تقدير يصوغه انطلاقا مما سبق لنا معرفته، رغم أن تلك المناهج قد تؤدي في بعض الظروف إلى أخطاء في الحكم يسميها المتخصصون "انحرافات إدراكية"، كانحراف التأكيد، حيث لا يمكن للمرء تغيير رأيه بعد امتلاك قناعة ما، حتى وإن خالفت معلومة جديدة ذلك الرأي الذي استقر في ذهنه.

> المفكرون وعلماء النفس ينصحون باعتماد الفكر النقدي الذي يعتبر سلاحا فعّالا ضدّ البديهيات الخاطئة التي نكتسبها

أي أننا نولي أهمية وشرعية أكبر لمحتويات تعزّز آراءنا ومعتقداتنا، ونميل إلى إلغاء الأدلة التي تكذّبها. وانحراف النماذج، إذ عادة ما نحكم على معلومة أنها حقيقية فنقبلها دون تمحيص حين تصدر عن شخصية بارزة أو باحث متخصص، فما ينطق به عالم أو خبير عادة ما نتلقاه كحقيقة مسلمة لا تقبل الطّعن. وانحراف القصدية الذي يقوم على فكرة ألا شيء يحدث صدفة وأن لكل حادثة سببا، حتى وإن كانت ضعيفة الاحتمال. ويكفي أن نضفي على شخص أو جهة ما سوء نيّة حتى نصدق خللا لا نتبيّنه. فلا الناس ولا حواسّهم معصومون من الخطأ. ثم لا بدّ بعدئذ من أن يقبل المرء بمراجعة معتقداته حين يظهر دليل منطقي جديد.

فأن يمارس المرء وعيه النقدي معناه أن يحاول معايرة ثقته في كل معلومة عندما يكون له فيها رأي. هذه المعايرة تمرّ عبر تقييم المعلومة ومصدرها. وللحكم عليها يمكن أن نعتمد على عدة دلائل كمعقوليتها، أي أن توافق العقل، وصرامة منطقها الحجاجي، وقيمة الأدلة وعددها... فتلك هي الطريقة التي يمكن أن يعدّل بها المرء ثقته، بالزيادة أو النقصان. أي أن المرء مطالب بأن يواجه نفسه بالسؤال كي يعرف ما إذا كان يسعى لمعرفة الحقيقة، أم يحاول تأكيد وجهة نظره بشتى الوسائل.

صفوة القول إن الشك جائز إذا كان وسيلة لبلوغ اليقين، شريطة أن يمتلك المرء وعيًا نقديًا يسمح له بفرز الصواب من الخطأ، وأن يتسلّح بزاد معرفيّ يساعده على تبيّن مساره حتى لا يضلّ الطريق فيشتبه أمامه الأصل والزائف، رغم أن غوته يعتقد أن الشكّ يزداد كلما ازدادت المعرفة. ولكنه مرفوض إذا تحوّل إلى هوس مرضي، يدفع صاحبه إلى الطعن في كل شيء، حتى الحقائق التي أصدر العلم فيها حكما باتّا من زمان، لأن الشكّ حينئذ يفعل في الذهن ما يفعله الشلل بالجسد.

يقول باسكال "ينبغي الشكّ حيث يلزم، والتأكيد حيث يلزم، والتسليم حيث يلزم. من لا يفعل ذلك لا يسمع قوة العقل. ثمة من يستهين بهذه المبادئ الثلاثة، إما أن يؤكد أن كل شيء يمكن إقامة الدليل عليه فلا يجد نفسه في الأدلة، أو يشكّ في كلّ شيء فلا يعرف أين ينبغي التسليم، أو أن يسلّم بكلّ شيء فلا يعرف أين يكون الحُكم".

بسهولة نظريات المؤامرة. ولتجنّب تصديق الأخبار الزائفة وتبنّيها وترويجها، أو الوقوف من كل ما تروّجه وسائل الإعلام والمواقع الاجتماعية موقف شكّ واحتراز، ينصح علماء النفس باعتماد الفكر النقدي، كسلاح ضدّ البديهيات الخاطئة، لأن الشكّ في كل شيء يعرّض صاحبه إلى الإعراض عن كل شيء، وبالتالي إلى الجهل التّام.

فكيف يطور المرء فكرا نقديًا يكون بمثابة جهاز وقاية ذهنية؟

الشك واليقين

من النّاس من يكتفي بتصديق ما له علاقة له بمجال تخصّصه، ولا يعترف بسواه حتى ولو أثبته الدليل والمنطق، وهذا موقف الشكوكيين منذ بيرون (270–360 ق م) مؤسس مذهب الشكّ، وكانوا يعدّون الشكّ طريقا إلى الحكمة، بيد أن هذا الموقف الفلسفي لا يستقيم عمليًا لأنه من الصعب على المرء أن يعيش دون أن يؤمن بشيء ما، ويتخلى عن كل معرفة أو حكم، ويمتنع عن الإدلاء بصوته في اقتراع، وحتى تعلّم حِرفة.

أي أن رفض منح ثقته لأي طرف، من جهة شخصه أو من جهة حكمه على الأشياء، يلغي العقل ويَحول دون الفعل. وليس أمام الشّكوكيين، كي يغنموا فوائد شكّهم دون أن يقعوا في الجهل، سوى أن يطوّروا نوعا من الشك العقلاني، ويحاولوا ترتيب تلك الثقة على ضوء صدقية المصدر والبرهان والحكم، بدل أن يمتنعوا عن منح ثقتهم لأي كان.

وهو ما سار عليه شكوكيون لاحقون يرفضون الرؤية الثلاثية للمعارف، تلك التي يكون فيها المرء أمام فرضية فلا يعرف ما إذا كانت صحيحة أم خاطئة أو يقف جاهلا بماهيتها، والحال أن علم النفس الحديث أثبت أن الاعتقاد يتطور وفق نسقية مسترسلة. وبدل تعليق المرء حكمَه على أي شيء بحجة غياب يقين ممكن، ينصح علماء النفس بتعديل درجة اعتقادنا، بوضع الوثوقية وإمكانية الخطأ في الحسبان، وعوض أن نرفض إيلاء الآخرين ثقتنا، وننبذ كل دليل بدعوى أنه قد يكون خاطئا، نمنح درجة ثقتنا لصدقية الخبر.

في هذه الحالة، لا يقودنا العقل إلى شكّ مفرط، بل إلى تعديل مستوى ثقتنا واعتقادنا. وفي رأيهم أن معايرة الثقة في الأخبار هي من صميم الفكر النقدي. ولا بدّ عندئذ من أخذ المخاطر بعين الاعتبار، والقبول بألا وجود لمعرفة تامة. فالإجماع العلمي قد يشوبه خطأ، والتجارب الأكثر صرامة قد تحوي

الكتب حجر الأساس في بناء ثقافة الانفتاح والتعاون

أبوظبي – تواصل الإمارات التعويل على الكتب كرافد أساسي للثقافة، لذا لم تتوقف عن نشر المؤلفات الجديدة وتوزيع مؤلفات أخرى بالمجان في مبادرات ثقافية، حيث تسعى إلى التحفيز على القراءة، والتركيز على أن الكتاب هو حجر الأساس في بناء ثقافة متكاملة.

وصدر أخيرا عن أكاديمية الشعر في لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية بأبوظبي، كتاب "مختصر أوزان الشعر النبطي" لمؤلفه الباحث الدكتور غسان الحسن.

ويعد الكتاب الذي صدر في 192 صفحة، من القطع المتوسط، تلخيصاً لموسوعة صدرت سابقاً عن الأكاديمية، من إنجاز الدكتور الحسن بعنوان "الموسوعة العلمية للشعر النبطي"، وذلك تسهيلاً للشعراء والمهتمين الراغبين في معرفة أوزان الشعر النبطي دون الدخول في التفصيلات العلمية المتعلقة بعروض الشعر النبطي وتفعيلاته.

وقد جاء في تقديم الدكتور الحسن لكتابه الجديد أنه "نظرا إلى كثرة الأوزان النبطية التي بلغت فوق المئة والعشرين واحتلت في موسوعتي السابقة (الموسوعة العلمية للشعر النبطي) الأجزاء من 2 إلى 7 في أكثر من 1000 صفحة، فقد ارتأيت أن ألخصها في كتاب واحد، أقتصر فيه على أشهر الأوزان، مع اختصار شديد في الشواهد والتفصيلات".

ويأتي هذا الكتاب ليتيح للشعراء والباحثين الذين يريدون الارتواء من موضوع الأوزان الشعرية، من دون أن يغوصوا في الخضم الغزير من العلم والمعلومات التي أوردها المؤلف في موسوعته السابقة، التي على عكس هذا الكتاب، تُقدم شرحاً تفصيلياً للباحثين المختصين، وتضم مقداراً بالغ العدد من الصفحات، فرضت كثرتها الأمانة العلمية كما يشير المؤلف. علما أن موسوعته تعد اليوم مرجعا رئيسا شاملاً في موضوعها.

وحول مؤلفه الجديد يضيف الدكتور الحسن "ضمّنت هذا الكتاب أكثر أوزان الشعر النبطي شهرة من كل تفعيلة، وأكثر صور هذه الأوزان وألوانها الداخلية شهرة أيضاً، مؤيداً كل ذلك بالشواهد التي تفي بالغرض، من دون إغراق في تفصيلات البحور والأوزان، والشواهد الشعرية".

وأضاف "لكي لا أحرم القارئ من الإحاطة العامة بهذا العلم، قدمت للحديث عن كل تفعيلة بكشف كامل لكل الأوزان التي قامت على التفعيلة من دون استثناء، فأصبح أمام القارئ قوائم تفصيلية بجميع أوزان الشعر النبطي، وأمام كل وزن موقع هذا الوزن من أجزاء الموسوعة الشاملة، حتى أسهّل أمر الوصول إلى هذه الأوزان بتفصيلاتها لمن أراد أن يستزيد ويتوسّع".

> في أبوظبي أكاديمية الشعر تُصدر كتابا جديدا للدكتور غسان الحسن ودائرة «الثقافة والسياحة» تقدم 300 عنوان مجانا

وإضافة إلى إصدار الحسن ودعما للقراءة فقد أهدت دائرة الثقافة والسياحة بأبوظبي ضيوف مدينة الإمارات الإنسانية 300 عنوان من أحدث إصداراتها في مختلف المجالات الأدبية والعلمية، في إطار مبادرة "ندعم القراءة"، بهدف رفد ضيوف المدينة الذين يقضون فترة الحجر الصحي فيها بكتب تساعدهم على قضاء الوقت بالاطلاع والقراءة واكتشاف الثقافات الأخرى.

وقال عبدالله ماجد آل علي، المدير التنفيذي لقطاع دار الكتب في دائرة الثقافة والسياحة – أبوظبي "نؤمن في الدائرة بأن الثقافة هي ضامن للتماسك الاجتماعي لاسيما في الأوقات الصعبة، وعلينا أن نجعلها في متناول الجميع ونشجع على التفاعل معها، لذا قمنا بتسخير كافة منصاتنا الإلكترونية والرقمية لدعم الثقافة ورفد مكتبتنا الرقمية بأحدث الإصدارات وإتاحتها أمام الجميع لجعل القراءة الملاذ الآمن في أوقات التباعد الاجتماعي. وقد أطلقنا في هذا السياق العديد من المبادرات وورش العمل والمسابقات الرقمية التي تحفز جميع أفراد الأسرة على تنويع أساليب التواصل في ما بينهم في هذه الظروف الاستثنائية التي يمر بها العالم".

ومن جهته، أشاد محمد مطر المرر من مدينة الإمارات الإنسانية بجهود دائرة الثقافة والسياحة – أبوظبي المتمثلة بمبادرة "ندعم القراءة" ضمن مبادراتها الداعمة للإجراءات الاحترازية التي تقوم بها الدولة في الظروف الاستثنائية التي يمر بها العالم حيث استلمت المدينة أكثر من 300 إصدار مميز ومتنوع تستهدف جميع الفئات العمرية وتحرص المدينة على الاستفادة منها من خلال إهدائها للضيوف لتمكينهم من الاطلاع على ثقافة دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث يعتبر الكتاب خير رفيق في ظل التباعد الاجتماعي للظروف الراهنة، مثمنين جهود الدائرة وبصمتها الخاصة في المدينة حيث ستقوم المدينة بإنشاء مكتبة خاصة بمدينة الإمارات الإنسانية.

وأكد المرر، أنّ المدينة تؤمن بأهمية تثقيف الإنسان وتوفير الموارد في جميع الحالات والظروف سواء للموظفين أو ضيوف المدينة على حد سواء، وتأتي هذه المبادرة ضمن المبادرات الهادفة التي تتبناها المدينة لإيمانها بأهمية مد جسور التواصل بين المدينة والضيوف حيث قامت مسبقاً بالعديد من المبادرات والفعاليات لضمان سلامة وراحة الضيوف آخذة بعين الاعتبار الإجراءات الاحترازية بهذا الشأن.